الباب الثاني

أ. سورة الرحمن

في القرآن الكريم مئة وأربع عشرة سورة كريمة بأسماءٍ مختلفة، وتتوزع هذه السور على ثلاثين جزءًا، منها سور طويلة ومنها سور قصيرة، ومن بين السور العظيمة التي وردت في شانها أحاديث كثيرة، سورة الرحمن، وهي سورة مدنية تتميز آياتها بنسقٍ خاص، وفيها ذكرٌ للكثير من نعم الله تعالى، وإشهادٌ عام على وجود الإنس والجن. لأنّ الله تعالى يُخاطب في هذه السورة كل من: الإنس والجن، ويتحدّاهما في أن يكذبا نعم الله وآلائه التي لا تُعد ولا تُحص.

سُميت سورة الرحمن بهذا الاسم لافتتاحها باسم "الرحمن"، وهي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تبدأ باسمٍ من أسماء الله الحسنى، بحيث يكون هذا الاسم في أول كلمة منن السورة، واسم سورة الرحمن هو الاسم الصحيح لهذه السورة، وذلك كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة وفي كتب التفسير، ومن ذلك ما رواه الترمذي عن جابر قال: "خرج رسول الله -ﷺ- على أصحابه فقرأ سورة الرحمن"،[1] ويُطلق عليها أيضًا اسم "عروس القرآن"، وذلك لقول النبي -ﷺ- قال: "لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن.

[1] سنن الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٣٢٩١

سورة الرحمن هي إحدى سُور القرآن الكريم، وهي السورة الوحيدة التي بدأت باسم من أسماء الله الحُسنى دون أن يكون قبله كلام، وقد تكرّرت فيها الآية التي تُبيّن الامتنان والتعظيم لله في إحدى وثلاثين مرة، وهي قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، وقدم الباحث موقع معلومات في هذا المقال أسباب نزول سورة الرحمن.

١. جاء في كتاب العظمة عن عطاء أنّ سورة الرحمن نزلت في أبي بكر الصدِّيق -رضي الله عنه-؛ بسبب خوفه من الله -تعالى- عندما تذكّر أهوال يوم القيامة، والميزان، والجنّة، والنار؛ فكان يتمنّى لو أنّه لم يُخلَق أبداً، أو أنّه خُلِق نبتة خضراء تأكلها البهائم، فنزل قوله -تعالى-: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ).

٢. جاءت سورة الرحمن ردّاً على قول المشركين الذي حكاه القرآن الكريم على لسانهم في قوله -تعالى-: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا)؛ فجاءت السورة تُؤكّد صفة الرحمن وتثبتها، وأنّه هو الذي علَّمَ الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- القرآن الكريم.

٣. جاءت سورة الرحمن ردّاً على قول المشركين إنّ الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- يتعلّم القرآن الكريم من بَشَر، وذلك في قوله -تعالى- على لسانهم:

(إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)؛ فجاءت السورة تُبيّن أنّ الله -تعالى- هو الذي علّم النبيّ - عليه الصلاة والسلام- القرآن الكريم.

٤. سبب نزول سورة الرحمن هو قول المشركين : وما الرحمن؟، وذلك عندما قيل لهم اسجدوا للرحمن، وقد جاء هذا في قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا"،[٢] فكان ردّ الله تعالى على المشركين بأن أنزل سورة الرحمن، وهذه السورة من أوّل السور نزولًا على الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وقيل أيضًا أن سبب نزول هذه السورة هو قول المشركين في الرسول -عليه الصلاة والسلام-"إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ"،[٣] حيث كان اهتمام المشركين بمن يعلم القرآن للرسول أكثر من اهتمامهم بالقرآن نفسه، كما ورد أن أبا بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- ذكر يوم القيامة ذات يوم، كما ذكر موازين الجنة والنار، فقال: "وددتُ أني كنتُ خضراءَ من هذه الخضر تأتي على بهيمة تأكلني، وأني لم أُخلَق"، فنزل قول الله تعالى: "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ.[٤]

ومن مميزات سورة الرحمن:

---

[٢] الفرقان: آية ٦٠

[٣] النحل: آية ١٠٣

[٤] محمد الطاهر بن حمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير - الطبعة التونسية، (ت: ١٣٩٣هـ)، (دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٣٩٧م)، (ج٢٧/ص٢٢٨)

١. بديع أسلوبها، وافتتاحها الباهر باسمه الرحمن، وهي السورة الوحيدة المفتتحة باسم من أسماء الله، لم يتقدَّمه غيره.

٢. وكذلك منه التَّعداد في مقام الامتنان والتعظيم قولُه ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾؛ إذ تكرَّرت هذه الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، وذلك أسلوب عربي جليل.[٥]

٣. وكذلك من مميزاتها تعداد آلاء الله الباهرة ونِعَمه الكثيرة الظاهرة على العباد، التي لا يُحصِيها عدٌّ، في مقدمتها نعمة) تعليم القرآن (بوصفه المنةَ الكبرى على الإنسان.

٤. تناولتِ السورةُ في البداية نِعَم الله الكثيرة، وبعدها دلائل القدرة الباهرة في تسيير الأفلاك، وتسخير السفن الكبيرة، وبعدها الاستعراض السريع لصفحة الكون المنظور.

٥. استخدام أسلوب الترغيب والترهيب؛ لأن الله سبحانه ذكر أهوال يوم القيامة، وتحدَّث سبحانه عن حال الأشقياء المجرمين، وما يلاقونه من فزع، وبعدها يذكر مشهد النعيم للمتقين في شيء من الإسهاب والتفصيل؛ إذ يكونون في الجنان مع الحور العين.

---

[٥] التحرير والتنوير، لابن عاشور التونسي، (مصدر سابق) (ج٣/ص٢٥٥٣)

٦. تعدُّ سورة الرحمن ذاتَ نسقٍ خاصٍّ وملحوظ؛ فهي إعلان عامٌّ في ساحة الوجود الكبير، وإعلام آلاء الله الباهرة الظاهرة في جميل صنعه، وإبداع خلقه، وفي فيض نعمائه، وفي تدبيره للوجود وما فيه، وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم، وهي إشهادٌ عامٌّ للوجود كله على الثَّقلينِ) الإنس والجن (المخاطبينِ بالسورة على السواء في ساحة الوجود، على مشهد من كل موجود مع تحديهما إن كانا يملكانِ التكذيب بآلاء الله، تحديًا يتكرَّر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يُعدِّدها ويُفصِّلها، ويجعل الكون كله مَعرِضًا لها، وساحة الآخرة كذلك، ورنة الإعلان تتجلَّى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها، تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت إلى بعيد، كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لِما يأتي بعد المطلع من أخبار.[٦]

٧. أكثر ميزة في هذه السورة أنها جميلةٌ بتناسق الكلمات؛ ومما يجلي وضوحَ جمال هذه السورة، ما روي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي ﷺ: "اتلُ عليَّ مما أُنزِل عليك، فقرأ عليه سورة ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾، فقال: أعِدها، فأعادها ثلاثًا، فقال: والله إن له لطلاوةً، وإن عليه لحلاوةً، وأسفله لَمُغْدِق، وأعلاه مُثمِر، وما يقول هذا بشرٌ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله"،

[٦] علي بن نايف الشحود، المفصل في موضوعات سور القرآن، (ج١/ص١١٥٧)

ففي هذه الرواية أسلم قيسٌ بسبب جمال هذه السورة وطلاوتها وصياغة كلماتها.[٧]

٨. وفي هذه السورة ذُكِرت نِعَم الله التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، منها الكبرى المستقرة، ومنها الصغرى المتجددة بتجدد الحياة الإنسانية، فعلى كل إنسان شكرُ هذه النعم اعترافًا بها وإجلالاً لها ووفاءً لحق المنعِم.[٨].

[٧] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (مصدر سابق)، (ص١٥١)

[٨] **د.** وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، (دار الفكر – دمشق)، ط١ – ١٤٢٢هـ، (ج٣/ص٢٥٩)